

العدد الثامن

آب (اغسطس) ١٩٥٤

السنة الثانية

No. 8 - Aout 1954

2ème Année

الآداب

مجلة شهرية تعنى بسؤون الفكر
تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

ص.ب ١٠٨٥ - تلفون ٢٤٥٠٢

AL-ĀDĀB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH - LIBAN B.P. 1085
Tél. 24502

أصحاب الامتياز
وزير التعليم - سحران درسي - بهيج عثمان

المذلل للنسوق: بهيج عثمان
رئيس التحرير: الدكتور بهيج درسي

Directeur BAHIJ OSMAN
Rédacteur en chef: SOUHEIL IDRIS

وإن بالفعل؛ ثم نحصره في قوالب صلبة، قاسية لا تلبث ان تضيق به فتتشقق وتتطاير شظايا تدميه وتدمينا بالسواء. وقد تهلكه وتهلكنا.

تلك هي الكلمة التي بعثت بها الى الصحيفة العراقية وهي، كما ترى، مقتضبة كل الاقتضاب. تنقر باب الموضوع ولا تلجه. وإن هي ولجته فلتتناوله بلحمة خاطفة لا تنقع غليل الشباب ولا غليلي. فمن حق الشباب علي، وعلينا اجمعين إذا نحن تحدثنا عنه ان نتحدث بخشوع العابد ورهبة الواقف

امام سر عظيم. وأي سر أعظم من سر التجدد الأبدى الصاعد بنا جيلاً بعد جيل، وعلى مدى الدهر، من الحيوان فينا الى

الانسان، ومن الانسان الى ما فوق الانسان - الى الله؟ ذلك هو التجدد الذي لولاه لكننا ما نزال حتى اليوم في المغاور والكهوف، ولما كانت لنا هذه المدنات والحضارات نشيدها ثم نهدها، ثم نشيدها ثم نهدها، الى ان نبلغ بها الغاية التي من اجلها وجدنا واليها نسعى في كل لحظة من وجودنا، عن وعي منا وعن غير وعي - وأعني معرفة كل شيء والقدرة على كل شيء. ونحن مدينون بهذا التجدد للشباب أولاً وآخرأ.

وانا إذ أعزو شرف التجدد ومجده وجماله الى الشباب دون غيره من ادوار الحياة، فلست اقصد ان أقلل من شأن الطفولة والصبا، والكهولة والشيخوخة في بنيان الحياة البشرية. ولكن شأن هذه دون شأن الشباب بكثير. لان الشباب هو المتن، وتلك مقدماته وحواشيه وخواتيمه. هو النور وهي الظل. هو الدور الذي فيه تستكمل الحياة البشرية جميع

كتبت إلى صحيفة عراقية تطلب كلمة توجيه مني الى الشباب العربي. فأجبتها بما يلي:

« ليس الشباب في حاجة الى من يوجهه. فالقوى الهائلة التي يزرعها كيانها هي الكفيلة بتوجيهه في السبيل المعد له. وإنما حاجة الشباب الى من يحميه من موجهيه الذين يحاولون ابدأ ان يكتموا فاه، ويكبئوا يديه ورجليه، ويسكبوا الماء البارد على الحماسة المتأججة في صدره، ويزرعوا الذعر والخنوع في فكره وقلبه. اولئك، في الغالب، هم رجال السياسة،

ورجال الدين، والآباء والأمهات، والمعلمون والمعلمات الذين يعيشون في قلق دائم من ثورة الشباب على مارث من تقاليدهم، وما يلي من

اساليبهم، وما تعقن من معتقداتهم. ولذلك لا ينفكون يقيمون السدود والحواجز في وجه تفتح الشباب وانطلاقه. وهم إذ يفعلون ذلك لا يدركون الى أي حد يجرمون بحق انفسهم وحق الشباب.

فمثلاً لا خير في ارض ربيعها خريف او شتاء كذلك لا خير في امة شبابها كهولة او شيخوخة. وإنه لمن الائم الذي لا يُغفر ان تمسك على الشباب حربة الافصاح عما في كيانها من قوى تتحفظ للوثوب، فنجعل يدب حيث يستطيع ان يطير، ونجعله يتردد حيث يطلب الانطلاق. فالشباب ربيعنا، ومن حقنا ان ننعم به متفجرأ من اعماقنا كما ننعم بالربيع متفجرأ من احشاء الأرض، فلا نحول ورده قطرباً، وباسمينه عوسجاً، وبلبله غرباناً، ونسوره بوماً. وذلك ما نفعله بالتمام عندما نحرم الشباب حربة التعبير عن نفسه إن بالقول

الشبابُ ثروة وثورة

بقلم ميخائيل نعيمة

معدّاتها ومقوماتها من ذخائر جسدانية وروحانية . فاللحم والدم يخران بالحرارة والحركة . والعقل في ثورة على كل مجهول . والخيال نشيط ووثاب . والقلب في عطش قتال وجوع مضنك الى الحب والعدل والحرية . والارادة صلبة ، قحامة . والايان بالنفس وقدرتها على مغالبة الصعاب قوي ، وطيد .

لعل اكبر عقبة في طريق الناس الى التجدد والتقدم هي انهم يألون على التمادي خطأ من العيش الى حد ان يعتبروه غير قابل للتغيير والتحسين . بل إلى حد ان يعتبروا كل تغيير فيه خروجاً على النظام وتصعداً في بنیان حياتهم ، وبالتالي خطراً جسيماً على راحتهم وبقائهم . فحالمهم من هذا القبيل هي حال العصفور يألف قفصه ، والبهيمة زربيتها ، والنحلة خليتها . ذلك هو شأن الجماهير في كل زمان ومكان . ولولا قلة من الناس تتطلع ابدأ الى ابعاد من عيدان ألقاصها ، وسياجات زرائبها ، ونحاريب خلاياها لما خبطت البشرية خطوة واحدة الى الامام .

تلك القلة هي ، في الغالب ، من صفوف الشباب الذي يطل على الحياة بعينين ما اختطف بريقها الملل من تكرار المشاهد ، وبفكر ما كبّلته التقاليد ، وبعزيمة ما أنهكتها المعارك ولا شلها الخوف من الفشل والهزيمة .

إن ثروة الشباب هي في صفاء بصره وبصيرته ، وفي مضاء عزمته ، وفي ثورته على الركود والجود ، وعلى القيود والسدود . وهذه الصفات هي التي تميز الشباب من غير الشباب ، والتي لولاها لما جرى مركب في بحر ، ولا دار دولاب في بر ، ولا اشتعلت نار في دار ، ولا خاطت إبرة ثوباً ، ولا شيد حجر فوق حجر ، ولا كان حرف وكان كتاب ، ولا انطلق لنا جناح في الفضاء ، ولا أضاء لنا سراج في ظلمة ، ولا امتد لنا صوت عبر القارات والمحيطات ، ولا كان لنا اي علم او فن او دين او نظام ، ولا اي شيء من الاشياء التي بها نعيش ومنها تألفت مدنياتنا الغابرة وتآلف الحاضرة ، وستألف التي بعدها . وصفات الشباب هذه لا يندر ان تجدها في بعض الكهول والشيوخ الذين كان العمر وأثقاله أضعف من ان تسدل الغشاوات الكشيفة على ابصارهم وبصائرهم . فما ألفوا قيودهم ، ولا انكمشوا ضمن حدودهم وسدودهم ، ولا تخلوا عن طموحهم في تغيير حالهم فيها الى حال افضل منها . اولئك هم الكهول

والشيوخ الذين ما برحوا شباناً بأفكارهم وقلوبهم . فهم بركة واي بركة للناس اجمعين . إلا انهم ، وإن قاموا بقسط من تجديد البشرية ، فالقسط الاكبر يقوم به الشباب من غير شك . ولان القديم يكتسب شيئاً من الروعة والقدسية لمجرد قدمه ، ولان المألوف يتحصن في قلوب الناس وافكارهم لمجرد انه مألوف ، ولا يكلف الناس كبير عناء في مسابرة على حد قول المثل العامي : « نحس تعرفه خير من جيد تتعرف عليه » - لذلك كان التجدد - اي تجدد - ضرباً من الثورة . ولذلك كانت الثورة في دم الشباب الذي يأبى إلا التجدد . ولولا تصلب القديم وتعتن المألوف لما كانت الثورات من اي نوع كان . ولكن القديم يرسل جذوره بعيداً في تربة الحياة البشرية فيتعذر اقتلاعه إلا بمشقة بالغة . والمألوف يقبض على قلوب الناس وافكارهم ولا قبضة الاضطبوط ، فيصعب التخلص منه بغير الكثير من الالم .

لو أن الناس كانوا أكثر أتعاضاً بدروس ماضيهم ، وأعمق تفهماً لواقع حياتهم لجعلوا قديمهم ومألوفهم من المرونة والطواعية لمطالبات التطور بحيث يتفادون الثورات وجميع ما يرافقها من عنف ومن آلام جسدانية وروحية هائلة . إلا انهم بأصفيهم لا يتعظون ، ولواقع حياتهم لا يفهمون ، وبعيون حسيرة وقلوب واجمة الى مستقبلهم يتطلعون . ولذلك تراهم يتسكفون على كبسج جماع شبابهم ، وعلى إقامة الحدود والسدود في وجه قوى التجدد التي تجيش في داخله وتتحفز للانطلاق . أما النتيجة المحزنة فالثورة التي قد تكون دموية وقد لا تكون . ولكنها في الحالتين تسبب آلاماً على قدر ما تلاقي من معاندة . أي دين قام في الأرض ولم يكن ثورة على دين قبله ؟ أي علم ترعرع بين الناس ولم يكن ثورة على جهل ألفه الناس فأحبوه واستسلموا له ؟ أي فن شق طريقه في دنيا الفنون من غير ان يشق اثلاماً من الكدر والامتعاظ في قلوب الذين ألفوا غيره وما ألفوه ؟ كل اختراع ثورة ، كل اكتشاف ثورة ، كل فكرة جديدة ثورة ، كل زي جديد إن في اللباس ، وإن في المأكل والمشرب والمأوى ، وإن في اللغة والأدب ، وإن في الصناعة والتجارة ، او في الدراسة والعبادة ، او في التقاليد والنظم السائدة - ثورة . وهذه الثورات هي التي بها تتجدد الحياة من يوم ليوم ، ومن جيل لجيل . والشباب هو الذي يرفع ألبيتها ، ويمشي في طليعتها غير مبال بما يقدمه في سبيلها

من تضحيات غالبيات . فلا ماله ، ولا جماله ، حتى ولا دمه بأعز لديه من الهدف الذي يسعى اليه ، ومن المثل الأعلى الذي اتخذته لنفسه رائداً وإماماً .

فما أجهلنا نحاول ان نختق ثورات الشباب وهي ما تزال أجنبية ! فلا يرتفع صوت الشباب ضد ظلامه من مظالمنا ، او ضد تقليد من تقاليدنا ، او طقس من طقوسنا ، او عقيدة من عقائدنا ، او نمط من أنماط معيشتنا حتى ننادي بالويل والثبور ، وتعتبرنا رجفة من سوء المصير . كذلك نادى الكتبة والفريسيون عندما طرقت مسامعهم كرازة المسيح . وكذلك نادى القرشيون عندما قام محمد بدعوته . وكذلك نادى اهل اثينا عندما راح سقراط ينشر افكاره في الناس . وكذلك نادى رجال الدين في الأجيال الوسطى عندما قال قائل إن الارض تدور . ولو شئت ان اعدد الامثلة التي قامت فيها قيامة المحافظين على كل مجدد في الأرض لما انتهيت .

إلا ان ما كان جديداً في الأمس اصبح اليوم قديماً . وبتنا نسمع اصواتاً تتعالى من هنا وهناك طالبةً تجديده . ونسمع مع هذه الأصوات أخرى تهدر وترجرجر مطالبة بإبقاء القديم على قدمه . فهو من القداسة والكمال بحيث لا يمكن لأي إنسان ان يطاله بقلم او بلسان . واني لأسألكم : أي المنطق هو منطق هؤلاء الغيارى على القديم ، والقائلين بقدسيته وعصمته ؟ وهل يرضون لو تعود بهم الحياة القهقري الى حيث كان اسلافهم منذ آلاف آلاف الأجيال ؟ ام تراهم يعتقدون ان ما لديهم من تقاليد وطقوس ومعتقدات هو غاية الغايات ونهاية النهايات فلا زيادة بعده لمستزيد ؟ وإذن فما شغلنا على الأرض من الآن وإلى الأبد إذا لم يكن لنا من أمل في ان نجدد ونتجدد ، وأن نبلغ من المعرفة والمقدرة والحرية ولو قيراطاً فوق ما بلغناه حتى اليوم ؟

إننا نتوارث التقاليد والنظم والعوائد والعقائد جيلاً عن جيل . والتقاليد والنظم والعوائد والعقائد الموروثة من شأنها ان تتحجر وتعفن وتقلب تعصباً وكرهاً في فكر الوارث وقلبه ما لم يهضمها وجدانه ويجعلها دماً من دمه ولحمًا من لحمه . وإذا ذلك فمن حقه ان يتناولها بالفحص والتمحيص ، وبالشك والتجريح حتى اذا استساغها تمسك بها . واذا لم يستسغها راح يفتش له عن اخرى يستسغها . فالإيمان بالله ، مثلاً - وبغير الله - لا يصح ان ينتقل بالوراثة كما ينتقل المال والمتاع والعقار .

فهو عملية باطنية وصلة ذاتية بين المؤمن والمؤمن به . والشك باب الايمان . ومن حقنا ان نشك في ما وراثنا عن اسلافنا . ومن حق شبابنا ان يشك في ما وراثه عنا .

لذلك اقول إنه من العار علينا ان ننادي بالويل والثبور كلما تصدى شبابنا لعقيدة من عقائدنا ، او تقليد من تقاليدنا بكلمة او بجرعة او بشك . وكان اجدى لنا الفأسرة ان نطلق له الحرية ، ثم ان نحاول اقتناعه بدلاً من ان نضع شكيمة في فمه او ان نحطم قلمه . فالحق في غنى عن دفاعنا اذا كنا على حق . واذا كنا على ضلال فرحباً بالشك منجيباً من الضلال .

ونحن اليوم في دنيا العرب أحوج ما نكون الى شباب يجرؤ على ان يشك ، ثم يجرؤ على ان يعمل للخلاص من شكه . فإلشك إذا طال أمسى شللاً . وشبابنا هو الثروة التي ابن منها ذهبنا الاسود والاصفر وكل ما تنتجه أرضنا من ثمار وحبوب وبقول؟ هذه للنقاد والبوار ، وتلك للبقاء والازدهار . وحرى بنا ان نستثمر هذه الثروة الى اقصى حد ، فنتاجر بها قبل ان نتاجر بالبترول ، وبالخام والشيت ، ونوليها من غنايتنا أضعاف أضعاف ما نوليها الدوالي في كرومنا ، والسنايل في حقولنا ، والاموال في مصارفنا ، والكراسي في مجالسنا . ولا نقضي عليها بما نرضه على الشباب من قيود وما نقيمه في وجهه من سدود ، بل نطلق للشباب حرية القول وحرية العمل إذا نحن شئنا ان ننعم بمواهبه وبركاته ، وان نتفادى غضباته وثوراته .

ولا يقولن قائل إن تلك الحرية قد تؤدي بنا الى الفوضى . فالفوضى هي ما نحن فيه . ولن نخرجنا منها إلا الشباب المجدد والمتجدد . ويقيني ان ما في دم شبابنا من حرارة ، وما في عقله من اتزان ، وما في قلبه من إيمان بالعدل والنظام والاخاء والحرية لكفيل بان يقطع بنا شوطاً بعيداً نحو عالم الطف جواً ، وافصح أفقاً ، واعذب صوتاً من عالم نعيش فيه الآن . فليس كالشباب خزائنة نأتمنها على آمالنا . وليس كالشباب مجدداً لشباب الحياة . وليس كالحرية غذاء للشباب وحافزاً له على الخلق والابداع والسير بالرافلة الى الواحات المطمئنة والمراعي الخصبة .

ميخائيل نعيمة